الكيان اللبناني منذ أُقيم بادارة خارجية لم تتوان، في مرحلة لاحقة، عن التخطيط والدفع الى نسف التعايش الوطني في المجتمع اللبناني تبريراً لوجود واستمرار اسرائيل ككيان ميثولوجي ـ طائفي ـ عنصري؛ كذلك يختلف نمو الحركات الاسلامية في فلسطين عن حالة السودان، حيث تلعب المصالح والارادات الاوروبية والاميركية، بوضوح سافر، ورقة دينية ممزوجة بعوامل عنصرية عرقية، تبريراً لاستنـزاف وادامة اخضاع السودان، والتلويح بتمزيقه بين حين وآخر، في سياق صراع حضاري وسياسي يتجاوز حدود السودان.

مكمن اختلاف حالة فلسطين، في رأينا، هو في الوحدة التاريخية بين مسلميها ومسيحييها. وهذا ما أدركه قادة المشروع الاستيطاني الصهيوني في وقت مبكر، على الرغم من مساعيهم الدائبة لشرخ تلك الوحدة. نستذكر، مثلاً، ما أشار اليه موشي شاريت، بتاريخ ١٩٣٦/٩/٢٨، من ان «اشتراك المسيحيين العرب [الفلسطينيين]، بل والنساء المسيحيات، في حركة المقاومة... يؤكد ان أهمّ دوافعها الرغبة في انقاذ الطابع العربي لفلسطين، وليس مجرد مقاومة اليهود»[٣]، وهذا وضع استمر مجسّداً حقيقة ان فلسطين لم تشهد، في تاريخها، أي صدام، أو احتكاك، فيما بين مسلميها ومسيحييها، حتى في حال انتفاء التحدي الخارجي المشترك؛ بل ان مسيحيي فلسطين كانوا في الخندق ذاته مستهدَفين حتى بالغزوات التي اتخذت الصليب شعاراً لها، فكيف ازاء الغزو الخارجي المعاصر الذي اقتلع غالبية الشعب الفلسطيني، مسلمين ومسيحيين، ولا يزال يحاول الغاء هذا الشعب، مادياً وسياسياً ومجتمعياً؟

تعود خصوصية الحالة الفلسطينية هذه الى اللحظة الاولى للقاء اسلامي ـ مسيحي على أرضها عندما سلّم بطريرك القدس مفاتيح المدينة الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكانت العهدة العمرية «عقد وعهد لا حل لها الى أبد الدهر في عنق المسلمين، كما في عنق النصارى»[٤]. وعلى هذه الارضية تبدو الحركات الاسلامية الفلسطينية أكثر ادراكاً من سواها في المنطقة لحقيقة ان الدين توحيدي في روحه وجوهره، وليس تفريقياً، وان «الدين الاسلامي هو دين التوحيد باطلاق: التوحيد على مستوى العقيدة (اله واحد)، والتوحيد على مستوى المجتمع (أمة واحدة)، والتوحيد على مستوى الفهم الديني وممارسته»[٥]، مثلما يبدو مسيحيو فلسطين وقد تكوّنت لديهم قناعة راسخة بأن الستار الديني الزائف الذي استخدمته اوروبا، ثمّ تفوّقت الولايات المتحدة الاميركية على اوروبا في استخدامه، لتبرير اقامة، ودعم، وحماية، وتبنّي، المشروع الاستعماري الاستيطاني للحركة الصهيونية في فلسطين، هو ستار أوهى من ان يخدعهم او يخدش انتماءهم الحضاري، بل، على العكس من ذلك، يتناقض مع جوهر ايمانهم المسيحي، وهم الأكثر انتماء وتمثيلاً لهذا الجوهر بحكم عامل المكان والتواصل التاريخي المستمر مع المكان، ناهيك عن تصادمه مع وجودهم المادّي أصلاً، كمسيحيين وكفلسطينيين، ومع مصالحهم الوطنية، والمجتمعية؛ اذ ان من يختار من المسيحيين مفهوم الشعب المختار انما يختار، في الوقت عينه، مفهوم الشعب غير المختار ويجعل من الفلسطينيين، مسلمين ومسيحيين، الحاضر الغائب غير المنظور[٦]. يفسّر هذا الادراك، على سبيل المثال، ان حالة سرحان بشارة سرحان (محاولة اغتيال روبرت كنيدي) لا تمثّل حالة فردية بما فعله في العام ١٩٦٨، وانما تعبير عن حالة جمعية تعي كم أضر بالمسيحيين الفلسطينيين، شأن بقية شعبهم، الدور الهائل الذي لعبته، ولا تزال تلعبه، عملية نشر معلومات مضلّلة مزيّفة في اوروبا واميركا، لم تقتصر على التأثيرات اليهودية التي أقحمت العهد القديم مفبركاً على التفسيرات والافكار المذهبية المسيحية السائدة في اوروبا، والتي بدأت تتعاظم منذ أطاحت الحركة الاصلاحية البروتستانتية، في